Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على عالم من الرهافة في التكوين البصري، وصولاً إلى الحلاق الذي يكبّر الصورة، وتكبير الطفل لصورة نابليون وانجذابه بالأقلام الملونة والألوان المائية، وما سيعلمه في القدس جمال بدران من أصول الرسم والزخرفة.

ومن هذا البعد أيضاً الوله بالمسرح والموسيقى، فالطفل جبرا يجمع أقرانه ليمثلوا ما كانوا يرون في (دير أبونا أنطون) ويؤخذ بلاعبي السيماء والسيرك وصندوق الدنيا وبمسرحية مجنون ليلى وبالأغاني والألعاب، وبالسينما التي كان يوفّرها الأب دوماجي، وبالفرقة الموسيقية في دير أبونا أنطون.

* بُعْدُ القراءة:

حيث يبدو الكتاب هو الوشم الأكبر في طفولة جبرا. فقد تسنّى له بفضل مكتبة شقيقه يوسف أن يقرأ بحر الآداب ومجاني الأدب وروبنسون كروزو وروايات بوليسية وأجزاء من السير الشعبية وألف ليلة... واستولى على الطفل سحر جديد جعله يجرب كتابة القصة الأولى بعد سنتين أو ثلاث من قراءاته لحكاية مسرور التاجر مع معشوقته زين المواصف، ومن أسف أن الكاتب قد أضاع هذه القصة.

* البعد الفلسطيني:

ويندغم هنا ما نشأ عليه جبرا من معايشة اليهود. فحارة أولاء تزكم الطفل برائحة العفن والعطن الغريبين. والأم توصي أطفالها بالحذر من اليهود: إنهم يسرقون الأطفال في أعيادهم ليذبحوهم ويمزجوا دماءهم في عجين خبز الفطير. وقبة راحيل ستبدو دوماً للطفل ذلك الحد الفاصل بين المعلوم والمجهول، بين الألفة والغربة. ولن تغادر الطفل حتى شيخوخته صورة الحاخامات وأصداء ولولتهم الغريبة في القبة التي تمتد بعدها الطريق إلى القدس: إلى عالم الغوامض والأسرار.

وستغدو القدس -بعد بيت لحم- قوام البعد الفلسطيني في عالم الطفل وما سيؤول إليه. فمنذ الانتقال إلى دار فتحو في بيت لحم، وإذ يشرف جبرا مع شقيقه يوسف على أضواء القدس، يقول الأخير: "إنه ضياء مدينة القدس، يريد الله لها أن تتوهج وسط الظلام الذي يملأ الدنيا".

وعلى الرغم من أن الكاتب يحدد لـ (البئر الأولى) سنّي الطفولة وبيت لحم، إلا أنه سيمضي في نهاية السيرة (الفصل 21) إلى انتقال الأسرة إلى القدس،